زنبقة الغور

﴿ رواية اجتماعية متتابعة ﴾

« بقلم »

أمين الريحاني

﴿ ملخص ما نشر سابقاً :— توفيت في الناصرة امرأة اسمها سارة كانت ترعى موائي الدير · واصلها من السامرية وكانت سابقاً تساعد اباها الجمال في مدينة بيسان وتقوم مقامه ليلاً في نقض الحكايات على حانة المكارين والفلاحين · الى ان تزوج ابوها فاضطرت الى الفرار من البيت لظلم خالتها ولحادث اصابها · فاقامت في قرية قرب مرج ابن عامر تخفي عارها فولدت طفلاً ميتاً · ثم رحلت تقصد ابن بلدها المعلم الياس البلان في صفورية فعرفت انهُ ترهب في الناصرة فقصدته في ديره وطلبت منهُ ان يسعى بايجاد عمل لها ﴾

* * *

« تابع ما قبله »

على انه وعدها خيراً وبعد ايام عادت اليه فانزلها في بيت لاجراء الدير تساعد الفلاحين وتغسل ثياب الرهابين · ثم نقلت الى المطبخ لاحسانها الخدمة فاحبها رفاقها من الخدم وأعجبوا بحسنها وخفة روحها وزلاقة لسانها وكانوا يجتمعون كل المساء عندها في المطبخ وبينهم بعض الرهبان فتقص عليهم المضحك المبكي من قصصها العجيبة ونوادرها الغريبة · واول من اعجب بها واحبها الاخ ايلياس الذي دخل ذاك الدير ليتمم فيه علومه ·

وكان لم يزل في ريعان الشباب يملكه من النساء حسن الوجوه وسحر العيون · وما لبث ان فتن بساره · استهوته الفتاة فخدعها · اختلى بها سراً مراراً وعللها بالوعود · وكانت ساره حادة المزاج سريعة التأثر · في قلبها شعلة من الحب لا تطفئها تجارب الحياة المحزنة · فاستسلمت الى الراهب الذي وعدها ان يخلع الثوب الاسود ويتزوج بها · ولقد ابرّ الاخ ايلياس بقسم من وعده اذ خرج من الدير في فرصة الصيف مدعياً انه ذاهب الى بيته ليتفقد اهله · وكان قد اوعز الى ساره ان ترحل الى قرية ··· قرب كفركنا وتنتظره في الخان هناك · وفي تلك القرية اقام واياها بضعة اشهر متنكراً · ثم تركها وهي في شهرها التاسع عائداً الى الدير في الناصرة لعلمه ان في نية الرئيس ان يبعثه الى سوريا ليدرس الافرنسية في احدى مدارس الرهبنة هناك · فهرب من مسئولية فعلته ولم يهرب حينئذٍ من الدير ·

ولما ولدت ساره اقسمت يميناً انها لا ترضع ابنتها قبل ان تنتقم من والدها اللئيم الخدّاع · لذلك جاءت الناصرة ليلاً تحمل لفافة القت بها عند باب دير الايتام وهي تقول · سارجع يا بنتي · سارجع اليك وقد انتقمت من والدك ·

وراحت تسأل في الدير عنه فقيل لها انه سافر الى سوريا · شكته الى الرئيس فضحك منها وشتمها وطردها خارجاً · فقالت له والغيظ يحتدم في عينيها ·عرفت طريقتكم · استرني استرك · الله لا يستر عيوبكم ·وخرجت من الدير تلعنه وتلعن ساكنيه وسافرت الى بيروت لتبحث عن الجاني عليها·

ولكن الاخ ايلياس البلان وقد قدّر ما قد يكون من عواقب اثمه غيّر اسمه وخلع ثوبه ولجأ الى احدى قرى لبنان يعلم فيها الصبيان · وبعد سنتين عاد يلبي الدعوة السماوية — دعوة الرهبنة فلبس الثوب الاسود ثانية ودخل في سلك رهبنة اخرى وتدرج الى رتبة الكهنوت فيها فسيم قسيساً واصبح من المحترمين في الارض ·

وليس كالدير مأوى لامثال الاخ ايلياس · ثوب اسود · واسم جديد ودير قصي · وبال بعد ذلك مطمئن · فيا له من اثم لا يقتفي اثره اشد اصحاب القيافة حذقاً · يا له من ستر لا يكشفه اكبر رجال الشحنة

وبعد طويل البحث والتفتيش فوضت ساره امرها الى الله واقامت في بيروت تخدم في احد البيوت · ثم نقلت الى الشام ثم الى بلد في لبنان ولم تثبت طويلاً في مكان · ظلت عشر سنوات في سوريا والشقاء ملازمها والبؤس حليفها · وقد جفت من تصاريف الدهر طباعها وخمدت نفسها وخشنت اخلاقها · فكانت تدخل البيت ضارعة وتخرج منه ناقمة · ولم تثبت الا في بيت لبناني سنتين متواليتين لان الامرأة اللبنانية تتحمل من الخدم اكثر من سواها ·

ولا شك ان ساره عربية في أنها تكمن العداء طويلاً ولا تنفك ان تطالب بالثأر · فلما سمعت مرة وهي في لبنان ان الراهب الذي تبحث عنه هو في الناصرة حملت رزمة ثيابها وسارعت الى تلك المدينة · وكانت تعلل النفس ايضا بلقاء ابنتها واسترجاعها من الدير · ولكنها لم تفز بواحدة

من رغبتيها . لان الابنة التي جاءت بها طفلاً رضيعاً الى الدير ضاعت بين المئات من مثلها في معاهد الايتام الكثيرة بالناصرة . وتوارى الاخ ايلياس البلان مصعداً في مدارج النسك والتقوى .

وبين هي واقفة ذات يوم في باب الدير الذي كانت تخدم فيه منذ عشر سنوات رآها القس جبرائيل مبارك فاعترته رعشة مزعجة وعلا وجهه الاصفرار . عرفها ولم تعرفه . فسألها متلطفاً حاجتها . فحاولت ان تكشف له سرها فاضطرب عليها . فقالت . اريد ان اخدم في الدير . فاحسن القس جبرائيل اليها وجعلها من أجراء الدير ترعى المواشي .

العشر سنوات التي ولت والثوب الاسود واللحية غيرت من ظاهر الراهب فلم تعرفه ساره . ولا ادركت اضطرابه عندما شاهدها ولا السبب في جميل احسانه اليها . فالقس جبرائيل مبارك من اسرة كريمة في جنين امرها في الناس مطاع وكلمتها في الحكومة نافذة . على انه لم ينبغ فيها الا من تولى الوظائف فكان ظالماً . او تولى امر ارزاقهم الواسعة الارجاء فكان مستأثراً اثيماً يعامل الفلاحين كما تشاء اطماعه ويتصرف بنسائهم وبناتهم كما تشاء شهواته . وكان والد ساره الجمّال من عمال بيت مبارك يجيئهم باحمال القمح والحبوب والحطب وغيرها من حاجات العيش . وكانت ساره كما ذُكر ترافق ابيها في سفراته وتساعده في اشغاله . فنقيم وابيها اياماً في بيت اسيادهم في جنين .

وفي تلك الايام كان جرجي مبارك (القس جبرائيل الان) في العشرين

من عمره · شاباً غريباً في بيته لا يشابه خلقاً وطبعاً احداً من اهله وطباعه · عصبي المزاج · شديد النزعة الى الوحدة · غريب الاطوار · كثير الهواجس سريع الغضب، سريع الرضى · في نفسه شعلة دخانها اكثر من لهيبها تزيد بكآبته واضطرابه · يظهر له الحق في كل الاشياء في شكل مشوش فلا يصبر عليه الى ان ينجلي · يضرب الخادم مثلاً لاهمال بدا منه ويدخل غرفته فيوبخ نفسه عَلَى ما فعل · وقد رأته مرة امه في ساعة ملكته نوبة عصبية شديدة يدق برأسه عَلَى الحائط كالمجنون · فراعها ذلك واخذت تناعمه وتسكن من روعه · فسألها قائلاً · متى يرجع ابوساره من المرج · فقالت الام · غداً · فسكنت اذ ذاك جوارحه وهدأ اضطرابه · ولما جآء الجمّال تصحبه ابنته وهمّ عند المساء بالرجوع سأله جرجي ان يظل عندهم الى الغد فامتثل الجمّال امره فبعثه في اليوم الثاني بكتاب الى احد عالمهم في حيفا وتخلفت ساره في بيت سيدها الشاب · وكانت قد شعرت بشيء وحشي في حركاته ونظراته وادركت اضطرابه حين شاهدها مع والدها · ولكنها لم تخشه ولم تنفر منه · بل استسلمت اليه راغبة تلك الليلة ليلة كان والدها في حيفا واحبته حباً شديداً · ولكن جرجي نفر مما اقترف ولام نفسه · ولم يكلم الفتاة بعدئذٍ وما نظر قط اليها · فشقّ ذلك عَلَى ساره وراحت تكظم غمها وتستر بليتها · ولما عاد ابوها من حيفا قال له جرجي · لتبقَ ابنتك في البيت ذلك خير لك ولها · فقبل الجمّال نصيحة سيده دون ان يدرك السر فيها · وامتثلت الفتاة امر ابيها الى حين · ثم هجرت

البيت تهرب من ظل خالتها الى ظلٍ اشد منه ظلمة وبلاء

وبعد سنتين هجر جرجي مبارك بيته وآله ايضاً · فبينا كان سائراً الى الناصره ليزور اخاه الاكبر يوسف افندي مبارك هنالك خطر له في الطريق ان يدخل الدير · وكذلك كان · دخل الدير في السنة التي سافرت ساره الى سوريا لتبحث عن ايلياس البلان · وفطم جوارحه عن الشهوات · وتاب توبة دينية حقيقية ·

ولم يمضَ عليه سنتان في ذلك الدير حتى اصبح من اسياده المقدمين يهابه اخوانه الرهبان ويكرهونه · كيف لا وهو لا يبالي عند الحقيقة بشعورهم ولا يراعي خواطرهم بشيء · نفر مما كان يشاهده في بيته فنفض عنه غباره ودخل الدير · دخل الدير فكشفت له امور ثارت عليها نفسه وهاجت لها ضغائنه · والقس جبرائيل يأله من يحب ولا يرى فضيلة في من يكره · عَلَى انه كان يبذل الجهد ليكون سيد نفسه قبل ان يصير سيد الناس · وطالما عذبه هذا النزاع بين الشعائر المتناقضة فيه بل بين معقوله وهواجسه · فقد كان يحب ساره ويكرهها · نسيها بعد ان جنى عليها ولكن اثر الجناية ظل حياً يضرم فيه احياناً تلك الشعلة الحمراء القديمة · وساعة شاهد الفتاة التي جنى عليها منذ عشر سنوات همَّ لاول وهلة ان يطردها ثم حنَّ اليها فوءاده وادخلها تخدم الدير · وكان يناصرها ويدافع عنها في كل امر يحدث بينها وبين العمال · وكثيراً ما كانوا ينمون عليها ويغتابونها لاخلاق فيها عالية سوَّدتها عليهم · فتقم الرهبان عَلَى ساره وكان القس جبرائيل

نصيرها الوحيد بينهم · ولقد حير امرها كل من عرفها سواه · فمن كان يراها في الفلاة ترعى المواشي كان يشاهد في وجهها كآبة لا تظهر لمن عرفها في الدير وفي المدينة · امرأة منوعة صبورة قنوعة تهضم بؤسها وتكظم اشجانها وتكلف نفسها البشاشة فتقص القصص العجيبة عَلَى رفاقها الفلاحين — هذه ساره بنت الدير · اخت الرهبان · امرأة كئيبة حزينة ·في صدرها سر كاد يخنقها وحسرة كادت تودي بها · تجلس عَلَى صخرة في الفلاة او في ظل صفصافة في المرج فتلقي خدها عَلَى يمناها وتتغنى باهازيج البدو المحزنة — هذه ساره الراعية بنت المروج والجبال ·

شكت امرها الى الناس فوقعت شكواها عَلَى اذان صماء وصادفت قلوباً مستحجرة فلبست لبوسها درعاً من الصبر براقة وضحكت مع الضاحكين كي لا يشمتوا بها ·

وظلت عَلَى هذه الحال سنين لا يسمع غير الله شكوى قلبها ساعة تختلي بنفسها في الفلاة · قريبة من الدير الذي دفنت فيه سرها الحي · بل من البحر الهادىء — بحر الشفقة والاحسان — الذي غرقت فيه ابنتها · ولطالما وقفت عند شاطىء هذا البحر تسائل الامواج عن لؤلؤة قلبها فتضحك الامواج لسوءالها ·

عَلَى انها تعرفت يوماً بفتاة تخدم في احد اديرة الايتام اسمها مريم فحنت اليها فؤادها واخذت تتردد الى ذاك الدير فتجتمع بها وتحدثها وتمازحها وتقص عليها بعض القصص المضحكة وفيها شيء من سيرة حياتها · ومرة

سألتها اسم ابيها فهزت مريم كتفها وقالت باسمة · تقول الرئيسة ان القديس يوسف ابي · ولي في الدير اخوات كثيرات · وكانت مريم تستأنس بساره وتحن اليها وتود لو كانت مقيمة معها · وقد قالت لها مرة

« هنيئاً لك تروحين وتجيئين حرة كما تريدين وانا محبوسة في هذا الدير » وسألتها باكية ان تخلصها منه فاغرورقت عين ساره وراحت تفكر في رفع شكوى مريم الى القس جبرائيل عله يستطيع ان ينقلها الى ديره ·

وبين كانت مرة ترعى المواشي رآها القسيس جالسة عَلَى عادتها في ظل شجرة تردد الادوار المحزنة وتنتحب · فاقترب منهـا عَلَى حين غفلة وخاطبها قائلاً · لماذا تبكين ؟ فذعرت ساره وسارعت تمسح دمعها فاعاد سؤاله · ما بالك يا ساره تبكين ؟ فاطلعته عَلَى بعض سرها · اخبرته انها في ليلة عيد الصليب منذ اربعة عشر سنة القت عند باب دير من ادیرة الايتام ابنتها وكانت طفلاً رضيعاً · وانها لم تزل تذكر ان الدير الذي جاءت اليه هو في آخر البلد في وسط الجبل وانها تعرفت هناك بفتاة اسمها مريم وحنت اليها حنو الام الى ولدها · وسألته ان يساعدها في البحث عن اصل تلك الفتاة وقصتها وان يسعى في نقلها الى ديره · فامتقع وجه القسيس لهذا الخبر لظنه ان الفتاة ثمرة فعلته ولكنه طيب نفس ساره ووعدها خيراً ·

وبينا كانت الراعية ترعى مواشيها في مكان قصي من البلد بعد هذه المقابلة بيضعة ايام نامت في اصيل النهار برهة فلذعتها في رجلها حية سامة ولم يكن احد هنالك تستغيث به · وقد حاولت ان تعالج نفسها بيدهـا

فربطت رجلها فوق الجرح بخيط من الشعر وعادت الى الدير · ولكنها لم تصل اليه الا بعد ان سرى السم في جسمها · فبعثت تدعو القس جبرائيل اليها فلبى مسرعاً ثم استدعى لها طبيب الدير فابطأ في مجيئه · ولما وصل وجد ان السم سبق الدواء وان لا مرد للقضاء · ولما احست ساره بدنو اجلها اخذت يد القسيس وقبلتها واستحلفته بالمسيح وبالعذراء ان يقضي حاجتها ويعرفها ويتمم وصيتها ·

— « ارجوك ان تبعث الى الدير ··· تستدعي مريم · احب ان اراها قبل ان اموت · وهي اذا عرفت بحالتي تحضر حالاً »

فبعث الراهب رسولاً الى الدير يستدعي الفتاة · وبدأ يعرف ساره · اخبرته اثناء الاعتراف قصتها كلها · فاغرورقت عيناه واضطرب فؤاده · وبعد ان جعلها في حل من ذنوبها ركع عند فراشها فخاطبها قائلاً · وانا اعترف قدامك يا ســاره وقدام الله واستغفرك قبل موتك · انا جرجي — جرجي مبارك — دخلت الدير بعد ان جنيت عليكِ · اصفحي عني اغفري لي » واخذ يدها يقبلها فاحست بدموع تتساقط عليها واجابته وهي شاخصة بعينيها · « ما حقدت عليك مرة ولا شكوتك مرة الى الله · فلا تنسَ وصيتي استحلفك بالمسيح ولا تبح لمريم بالسر · واذا التقيت بابنة البلان قل له انني سامحت وصفحت · دخيلك · انت ابن بلدي · انت ابي · — انت سيدي — انت اخي — فكن لمريم اباً واخاً ايضاً وخذ هذه الذخيرة اعطها اياها لتحفظها ذكراً مني · فصعد القسيس الزفرات ثم صلى

عند رأسها وقال وهو يسألها ان تردد كلماته — قولي معي يا بنتي.

« من غور الحياة ارفع اللهم صوتي . من وادي الاردن احمل اليك يا رب وزري . من اعماق الارض انظر ضارعاً الى جبال قدسك والى شمس رحمتك والى سماء حبك »

وفي تلك الاونة دخلت مريم البيت فمدت ساره يدها وجذبت الفتاة اليها فقبلتها ثم قبلتها وضمتها الى صدرها كأنها تريد ان تطلعها على ما في قلبها . كأنها تريد ان تسمعها همس الاسرار في نفس الموت . فشهقت شهقتها الاخيرة وشخصت بعينيها ووقعت في انفاسها الحـ.ـة الابدية

فردد القسيس . « من اعماق الارض يا رب انظر ضارعاً الى شمس رحمتك والى سماء حبك » وجثت مريم عند جثة ساره تبكيها بكاء شديداً والقس جبرائيل وقد احس من نفسه وهناً يتأمل الفتاة مضطرباً حائراً .

****

(الفصل الثاني)

ليس افضل من معقول يقرن الى بداهة ، ولا اجمل من ورع يقرن الى هوى ، ولكن هذا نادر ، والنادر قياس الشعراء الحكماء . اما جمهور الناس وبينهم اليوم عدد من المثقفين كبير ، فالمعقول عندهم يعجز عن مرافقة اهوائهم . فيضلون السبيل ويظنون الاوهام والسماديز حقائق رائعة . وان

اصحاب الاخلاق الكبيرة والادراك المحدود من هذه الطبقة ليتزعون غالباً الى تحقير في اعمالهم واعمال الناس قلما يفيد ، بل الى تزييف فيه تضليل وتغرير ، فتلعب اذ ذاك يد التفريق في نزعاتهم واهوائهم بل في طباعهم وغرائزهم .

العلوم النفسية (بسكولوجي) شغل مفكر الغرب اليوم فيحلل العواطف ويشرح الاهواء توصلاً الى الحقيقة الكامنة في النشوء بل الى السر الكامن في تلك الحقيقة . وهذه الطريقة في العلوم النفسية نشأت عن العلوم المادية وسلكت مسلكها . وقد كان الدين في الشرق سابقاً اليها فدعاها الحكماء والمتورعون « محاسبة النفس » . على ان الفرق بين الشرقي والغربي هو ان الاول يحاسب نفسه « الامارة بالسوء » ليأدبها فيذلها ويسترقها ، والثاني يحلل نزعات النفس ليدرك خيرها فيعززها . ولا مشاحة ان كلتا الطريقتين تولد التردد والتذبذب وتوءدي الى تشويش فيه ضعف لا الى معرفة فيها قوة . ولعمري ان من يقتلع شجيرة النفس كل يوم ليراقب نموها لا يفوز بشيء كبير من آمال النفس العالية . والشرقي من هذا القبيل ابلغ حكمة من الغربي لانه اقرب الى التوحيد في الحياة . لا وسط عنده في امياله ولا ظل بين النور والظلمة في نفسه . الناسك عندنا ناسك . والخليع خليع

والقس جبرائيل من هذا القبيل شرقي صميم شرعته التوحيد في نزعاته وامياله وتشوقاته وآماله . وقد كان قصده الاكبر الاهتداء الى طريق واحدة مستقيمة توءدي به الى محجة واحدة معلومة ، فوجد هذه الرهبانية

وسلكها عشر سنوات معتصماً بمبدأ التوحيد · عَلَى ان المنعرجات الزاهرة العاطرة في تلك الطريق ونار القرى التي تضرمها الحياة في تلك المنعرجات استوقفته مراراً فمال بوجهه اليها عاطفاً شيقاً · مال بوجهه فقط ولم يعرج مرة عليها · ولا غروَ اذا استوقفته طيبات الارض فان الغريزة البشرية لم تزل حية فيه عاملة · وللوراثة حق عَلَى الانسان لا يُنكر ، ولا يُقبر ، ولا يُحتقر ·

ولقد طالما غلت في صدر الراهب مراجل اهواء سكنتها الارادة ولم تطفىء النار تحتها · نار الحياة من يُطفئها غير الله ؟ فقد خُيل الى القس جبرائيل مرة ان تلك النار امست رماداً ولكنه ادرك الحقيقة حين عادت ساره الى الدير ، فنفخ اذ ذاك الشيطان في الرماد فشعشعت خلالها بقية نار قديمة ، فسارع الراهب الى اطفائها فلم يظفر ببغيته ، فاستعاذ منها بالله صابراً متجلداً ، ولم يكلم ساره مدة اقامتها في الدير الا عند اللزوم ، وقلما اجتمع بها · ساقتها اليه الاقدار بعد ان طوّفت بها في اغوار الشقاء عشر سنوات فترحب بها وفتح لها باب الدير عملاً بواجب مقدس · قرّبها منه تأديباً لنفسه · احسن اليها طاقته سراً ليغفر الله ذنبه · ولم يكن في امكانه ان يعمل عكس ذلك · من العار ان يطردها من الدير ، ومن الجبن ان يطردها من نفسه · لذلك كان يقف في طريقه عاطفاً شيقاً عند تلك المنعرجات الزاهرة العاطرة فيسكره اريجها ويعبث بنفسه سحر جمالها · فيتأكد اذ ذاك ان لم يزل خلال الرماد وميض نار تسمل عينيه اذا نظر

اليها وتحرق فؤاده اذا اقترب منها · ولما كانت ساره عَلَى فراش الموت احس من نفسه بارتياح استغفر الله عليه مراراً · عَلَى انه بعد ان عرفها وسمع وصيتها واطلع عَلَى سر شقائها جاشت في صدره تلك النزعات فضاعفت الشجون فيه والعذابات · مثل لنفسه امرأة وحيدة تئن في كهف قصي من ألم الولادة وتدفن بعدئذٍ طفلها هنالك فترقرقت في عينيه الدموع · فكّر بالفتاة الغريبة وبذاك الراهب الاثيم والدها فراعته اسرار هي في يد الزمان كالعواصف في ايدي الالهة · كأن الموت اشعل في قارعة الطريق طريقه ناراً لا تضاهيها نيران الحياة بشيء · كيف لا وقد ماتت ساره تاركة بين يديه وديعة عزيزة — صبية جميلة — واستحلفته ان يحتفظ بها ويبذل الجهد في سبيلها — ان يكون لها اخاً شفيقاً واباً حنوناً · فسمع كلماتها متبرماً متألماً كأنه يقول ·

— وهل من نهاية لمغبة اثمي · آه من تلك الشعلة البشرية التي يضرمها الشباب فترة من الزمن فتملأ الحياة ناراً يسد دخانها افاق النفس الى الابد·

ولكنه وعد ساره ان يعمل بوصيتها مهما كلف ذلك ، وعداً مقدساً ، وهو متيقن ان شعلة الحياة بل شعلة الشباب لم تزل تلتهب في فؤاده · كيف لا وهو لم يزل في الخامسة والثلاثين من عمره · ولما شاهد مريم وديعته راعه لاول وهلة جمالها ·

فتاة فتانة قد يصفها الشاعر بانها حورية وقد يخيل الى السذج انها ابنة جنية · وكذلك كانت تدعى في الدير · ولا غرو فقد تجسد فيها شيء

من حسن الحوريات ومن صفات مليكات الجن اللواتي كانت ساره تقص قصصهن · سمراء ، نجلاء ، شماء ، حسنة القد ، دقيقة الجوانب · في وجهها ما يبهت الناظر اليه فيقف حائراً بين الاعجاب والارتياب · وفي ناظريها شيء آبد لا تقيده صبوة ولا يدنيه اشتياق · اذا ابتسمت ازعجت ، واذا تكلمت ادهشت · واذا سكتت استهوت · الا فان في فمها معنى غامضاً لا يدرك سره الا النساء ومن خبر النساء من الرجال · وفي طرفيه حركة كآبة مستحبة تستحيل اذا ابتسمت حركة استهتار منكرة · شفتها القرمزية الشبيهة بثمرة ناضجة تفشي اذا تحركت اسرار جفنها الدقيق الشبيه بالالفة الفارسية ، وهي مع ذلك كريمة الاخلاق ، وفوق ذلك زكية الفؤاد ، طامحة النفس ، واجفة جامحة معاً ، ولم يكن يشين حسنها غير تحدب في طرفي جبينها ، ولكن الزمان وان والى العنيد يمحي كلمة العناد من جبينه.

وكانت مريم اذا جاش جأشها تنتفخ اوداجها وتختلج شعرات انفها - لا شك ان « سيماوهم في وجوههم » ولا شك ان ظواهر المرء خداعة في اكثر الاحايين ، ولكنها في مريم لم تكن غير صادقة ، بل كانت بليغة في صدقها فصيحة في تبيانها ، فتحول دون التمويه والمصانعة مهما بالغت النفس المثقفة بالاجتهاد ، ولكن نفس هذه الفتاة لم تزل ساذجة صافية ناصعة ، ترسل نورها الى عينها السوداء الكبيرة دون ان ينعكس في عقلها ودون ان يمر بلبها ، ثابتة الجأش ، جريئة الكلمة ، نفورة مستهترة ، لا تهاب احداً ولا تستحي ان تجهر بما يكنه فؤادها ، تنعت من تحب ومن تكره بلا

بنعوت التفضيل فقط بل بنعوت تضحك وتغيظ ، وقد طالما قاست العذاب من محوضة طباعها وحرية قلبها ولسانها ·

رآها القس جبرائيل ساعة توفيت ساره ولم يكن يعرفها وما ادرك شيئاً من معاني نفسها · ثم عاد بها الى الدير اصيل ذلك النهار وكانت شمس الربيع قد مالت الى الغروب فاحنت عَلَى الارض بلسعتها الهادئة الناعمة فهاجت الالوان في الحقول الخضراء ، وعلا الاصفرار جبين جبل طابور ، وبدت الناصرة ببيوتها البيضاء وسطوح اديرتها الحمراء كجزيرة كونت من اللولوء والمرجان ·

وقف القس جبرائيل في ظل زيتونة قرب الدير ونظر الى مريم وقد تموهجت من البكاء عيناها فالقى يده عَلَى كتفها يلاطفها ويسكن جأشها · ثم سألها قائلاً ·

هل انت مبسوطة في الدير ·

فاجابته عَلَى الفور · لا

— لماذا ؟ فسكتت مريم عن الجواب

— اخبريني يا بنتي ولا تخافي· اني عامل ما يرضيك ان شاء الله ويسرك· أيتعبك الشغل في الدير ؟

— لا · ادخلوني المدرسة منذ ثلاث سنوات · ولا اخدم اليوم الا بقي غرفة الاكل ·

(البقية تأتي)

صور فكاهية

على شفا الغرق

« منقولة عن جريدة فتشيرنيه فريميا الروسية »

احتجاج من اعماق القبر

عزرائيل — قد تعبت من العمل . فلا تبعث لي بضحايا جديدة

ولي عهد المانيا — أجننت يا عزرائيل ! الا تعلم ان والدي أرسل لي حوالة جديدة بعشرين الف جثة

تركيا في المعمل

« منقولة عن جريدة سفستاقي ايمس مناز »

المنجنيق البشري

« منقولة من جريدة لندن ايفنن نيوز »

غلوم — اذا ثابرتُ على ضربِ هذا الحاجز حتمية أخرى فقد يندك

الجيش الالماني — من يندك ؟ أنعني رأسي